

الخيال ويتوكلون على المركبات لأنها كثيرة، وعلى الفرسان لأنهم اقوياء جداً ولا ينظرون الى قدوس اسرائيل، ولا يطلبون الرب»^(١٥). وهو تحذير من اشعيا الى ملك يهودا، الذي استنجد بالمصريين لحمايته. ولكن سنحاريب لم يدخل اورشليم، التي انتظرت حتى جاء نبوخذ نصر الكلداني، الذي قضى على مملكة يهودا في حملتين متتابعتين: الاولى كانت العام ٥٩٧ ق.م. حيث سبى اهله الى بابل وعرف بالسبي البابلي الاول؛ والثانية العام ٥٨٦ ق.م. واعاد سبي من تبقى من السكان فيما عرف بالسبي البابلي الثاني. وبذلك انتهت هذه الدولة من الوجود، والى الابد.

وفي أعقاب زوال مملكتي اسرائيل ويهودا الهزيلتين، لم تشهد المنطقة نظاماً سياسياً متماسكاً ومستقلاً لليهود، وانما شهدت بعض حركات التمرد التي قام بها من تبقى منهم على ارض كنعان، او عاد اليها من السبي في زمن كورش الفارسي (٥٣٩ - ٥٢٨ ق.م.). فقد ثارت القبائل المكابية اليهودية، في العام ١٦٧ ق.م. على انطيوخوس الثالث السلوقي، عندما حاول اجبارهم على ترك تقاليدهم وآدابهم والسير على التقاليد والآداب اليونانية. ولكن هذا التمرد تم اخماده في العهد الروماني على يد هيرودس الادومي العام ٣٧ ق.م. وكان اليهود، خلال تلك الفترة، في حالة مدّ وجزر، وحروب متواصلة مع السلطات اليونانية والرومانية. وفي عهد الامبراطور الروماني نيرون (٦٨ - ٥٤ م)، ثار اليهود، مرة أخرى، الا ان تيطس اخمد هذه الثورة، بعد ان قضى على العديد من اليهود. وفي أعقاب ذلك، ساد الهدوء في المنطقة، حيث اشتعلت نيران ثورة جديدة بقيادة باركوخبا، ولكن هادريان الروماني جند حملة اجتاحت مواقع العصاة من اليهود ودخل اورشليم التي استبدل اسمها بـ «ايليا كابيتولونيا»، واسكن فيها جالية رومانية وأخرى يونانية، بعد ان حرّم على اليهود الاقامة فيها. ومنذ تلك اللحظة، واليهود يعيشون في فلسطين كأقلية، ليس لهم اي كيان سياسي مستقل، خاص بهم.

ونلاحظ، هنا، من خلال المسار التاريخي الذي يعتمد على التوراة، باعتبارها المصدر الوحيد في هذا المجال، ان ابراهيم، وابناؤه من بعده، قد اقاموا على ارض كنعان بصفة رعاة متنقلين، ولم يؤسسوا عليها بنياناً سياسياً خاصاً بهم. وحينما قدم قوم موسى ودخلوا الارض، بقيادة يهوشع بن نون، فانهم اقاموا مع السكان المحليين ولم يطردوهم من ديارهم.

ونقلت التوراة، كما اوضحنا باقتضاب في مكان سابق، ان قوم موسى دخلوا البلاد عنوة وبعد قتال مرير مع السكان الاصليين. وخلال اقامتهم، تعرضوا، غير مرة، لعملية سبي جماعي واتلاف، وتخريب، من قبل الممالك والدول المجاورة، وهو ما اختص اليهود وحدهم دون الآخرين من السكان الامر الذي يجعلنا نذهب الى القول ان اقامة الدولة اليهودية على ارض كنعان لم يكن أمراً ثابتاً، بحيث يؤدي الى نتائج تاريخية يمكن اخذها بعين الاعتبار. وقد كان حالهم كحال بقية القبائل التي غزت المنطقة، من الكلدانيين والاشوريين والحثيين والفرس واليونان والرومان، الذين اقاموا لفترة وجيزة، وسرعان ما انتهوا بغزوة جديدة، او بالذوبان في بوتقة السكان المحليين من الكنعانيين والفينيقيين، الذين اقاموا على الساحل الفلسطيني الشمالي.

ومع ذلك، فحينما نتحدث الادبيات الصهيونية عن الحدود التاريخية، فانما تعني الحدود التي كانت قائمة في عهد داود وسليمان. وهذه الحدود تشمل تلك التي كانت تحت السيطرة المباشرة، وتمتد من نقطة على البحر المتوسط، بالقرب من مدينة «عكو» (عكا)، في خط يمر جنوب دمشق، ومن ثم شرق عمان وشرق معان وشرق العقبة؛ وفي الغرب، الخط الواصل من جنوب رأس النقب على خليج العقبة وحتى شرق مدينة العريش؛ ويضاف الى هذه المنطقة، في بعض المصادر، تلك المساحة التي